

تمردات الانكشارية في الدولة العثمانية 1481-1648م

م.م عماد عبد العزيز يوسف
كلية التربية الأساسية-جامعة الموصل

تاريخ تسليم البحث : 2009/3/25 ؛ تاريخ قبول النشر : 2009/6/3

ملخص البحث :

تعد الانكشارية قوة عسكرية فاعلة في الدولة العثمانية ، ونظرا لاهمية دورها ، فإن البحث تضمن تمردات الانكشارية في السنوات (1481-1648م) . وقد انبثقت تمردات الانكشارية نتيجة الضعف في الاداء السياسي لبعض السلاطين العثمانيين ، مما هيا الفرصة المناسبة لوقوع تلك التمردات ، والتي اثرت بشكل واضح في جميع مفاصل الدولة العثمانية ، السياسة والعسكرية والاجتماعية ، مما جعل من الانكشارية ظاهرة تركت اثارها على مكانة الدولة العثمانية آنذاك .

The Janissary Insurgences in the Ottoman State (1481-1648)

Asst. Lect. Emad Abduazez Yousef
College of Basic Education - University of Mosul

Abstract:

Janissary is an active military force in the Ottoman State. Due to its importance, this study examines the Janissaires insurgences within the period (1481–1648). Such insurgences arise from the weakness of political performance of some Ottoman sultans, providing the chance for such insurgences to affect the Ottoman State, in the political, military and social aspects. This is why Janissaires is a phenomena affecting the Ottoman State, at that time.

المقدمة:

تعد دراسة تمردات الانكشارية في الدولة العثمانية في غضون الاعوام (1481-1648م) على جانب كبير من الاهمية التاريخية ، وتكمن أهميتها في معرفة مدى تأثير تلك التمردات على سياسة الدولة العثمانية عندما كانت في اوج قوتها .

إن قوة الانكشارية إبان تلك الفترة عسكريا جعلت منهم عماد الجيش العثماني ، إلا أنهم لم يقتصروا على دورهم العسكري ، اذ تدخلوا في سياسة الدولة العثمانية من خلال تمرداتهم ، مرتكزين في ذلك على ادوارهم العسكرية الممتدة تاريخيا منذ بداية القرن الرابع عشر وحتى نهاية القرن الثامن عشر للميلاد . فكان لابد من دراسة تتابعية لتمرداتهم بوصفها ظاهرة مؤثرة في الدولة العثمانية .

والجدير بالذكر أن التمردات الانكشارية لم تتوقف بعد مقتل السلطان ابراهيم الأول 1648م وإنما استمرت الى عام 1826 وهذا ما يتطلب معالجته في بحث آخر إن شاء الله .

تمهيد:

يعد البحث محاولة علمية لوضع مرتسم تاريخي لتمردات الانكشارية في الدولة العثمانية. وتكمن اهمية تلك التمردات في كونها صادرة من جهة رسمية (الجيش الانكشاري). وانها كانت في فترة من الفترات تمثل احدى مراكز القوى في الدولة ولها نفوذ واسع وخطير في دوائر الحكومة ولها دورها في توجيه شؤون الدولة سواء في السياسة الداخلية او الخارجية ، ولذلك كان لتمرداتهم تأثيره الواضح في شؤون الدولة .

وتكمن اهمية هذه الفترة (1481-1648م) انها تمثل فترة قوة الدولة العثمانية (عام 1481 يمثل اول تمرد للانكشارية وصولا الى عام 1648 مقتل السلطان ابراهيم على يد الانكشارية) .

ولابد من الاشارة الى ان بدايات ظهور الانكشارية تعود الى فترات سابقة ، اذ كان البداية في عهد السلطان اورخان بن عثمان (1326-1359م) إذ حجب وزير السلطان (هابيل الاسود) فكرة ضريبة الغلمان النصارى الأرثوذكس ، ونقصد بها ضريبة ادمية فرضتها الدولة على ابناء الرعايا النصارى الذين يعتنقون مذهب الكنيسة الارثوذكسية ، وتحويل هؤلاء الاطفال الى مسلمين ، وتجرى لهم جراحة الختان وتنظم لهم دراسات دينية وعلمية ومدنية وعسكرية ليتخذ منهم في نهاية المطاف قوة اسلامية للحكم والحرب في خدمة الدولة على حد سواء . ويطلق على هذه الضريبة مصطلح دوشرمة او دفشرمة (ضريبة الدم)⁽¹⁾ .

والدوشرمة تسمية اختلف المؤرخون في نشأتها إذ يذكر زياد أبو غنيمة في كتابه جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين والأتراك إن الدوشرمة كلمة تركية تعني الاسقاط او السقوط وتطلق

عادة على الذين تلدهم امهاتهم سرا ثم يقذفون في الطرقات او على ابواب الملاجئ ثم انسحبت هذه الكلمة على كل طفل لقيط او مشرد لاي سبب من الاسباب⁽²⁾ ، أما ايرينا بيتروسيان ذكرت في كتابها الانكشاريون في الامبراطورية العثمانية إنه عندما سمح لأبناء الفلاحين الذين تبو عليهم ملامح الرجولة باللاحق بجيش المشاة وبعد اعتناقهم الإسلام شكلوا منهم فيلق المشاة الذي كان يشارك في الاستيلاء على القلاع . وخلال سنوات جند منهم حوالي 1000 شخص وخصصت لهم اجور ثابتة ثم يذكر أن الجيش أصبح يتألف من الشباب النصارى الأسرى الذين كانوا يخدمون خدمة تمهيدية قبل التحاقهم بالجيش الانكشاري⁽³⁾ . أما عبد العزيز الشناوي في كتابه الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها في جزئه الأول يذكر بصدد الانكشارية إن ضريبة الدم هي ضريبة أدمية كانت عوناً كبيراً للدولة الناشئة على إيجاد مورد أدمي لا ينضب ومساعدة لتجنيد فرق عسكرية كاملة من المشاة يضعون عقولهم وأجسامهم وخبراتهم في خدمة السلطان في ميادين القتال ابتغاء إحرار انتصارات عسكرية تحقق بها الدولة مزيداً من التوسع الإقليمي . وكان معظم هؤلاء المشاة ينخرطون في سلك الانكشارية . ويذكر الشناوي إن فيالق الانكشارية لم تكن جميعها من حصيلة ضريبة الدم بل تضم في صفوفها مجموعات صغيرة العدد من أولاد أسروا في الحرب او اشتروا بالمال⁽⁴⁾ .

وكانت الدولة تقسمهم الى ثلاثة اقسام ، القسم الأول يعد افرادها للعمل في القصور السلطانية ، ويسمون (ايچ اوغلان) غلمان البلاد والثاني ، للعمل في الوظائف المدنية الكبرى في الدولة . اما القسم الثالث ، فيشكل أفرادها فرق مشاة في الجيش العثماني ، ويطلق على أفرادها بالانكشارية ومعناها الجنود الجدد (ينكي جرى) أي الجندي الجديد وكانوا يشكلون النسبة الاعلى قياسا للقسمين السابقين من حيث العدد⁽⁵⁾ .

ويذكر ان السلطان اورخان قد وضع قانونا خاصا بالانكشارية تضمن اقرار نظام داخلي خاص لهم ، وتنظيم علاقتهم البينية ، والطاعة المطلقة للسلطان .

تمردات الانكشارية في الدولة العثمانية 1481-1648م التمردات في عهد السلطان بايزيد الثاني (1481-1512م)

حدث اول تمرد للانكشارية في الدولة العثمانية في عهد السلطان بايزيد الثاني ومفاد التمرد انه عندما توفي السلطان محمد الثاني (الفتاح) (1444-1446م/1451-1481م)⁽⁶⁾ كان لديه ولدان هما بايزيد وهو الاكبر وكان حاكما لمنطقة اماسيا اما الثاني فكان جم حاكم قرمان⁽⁷⁾ . وحدث ان اخبر الصدر الاعظم قرماني محمد باشا بايزيد بخبر وفاة والده ليسرع في العودة لكي يتسلم عرش السلطنة . وفي الوقت نفسه أرسل الصدر الاعظم خبر الوفاة سرا للامير جم . فحدث ان تسابق الاثنان في السفر الى العاصمة لتولي مهام السلطنة وسبب ما قام به الصدر

الأعظم محمد باشا إنه كان نصيراً سرياً لإبن محمد الفاتح الصغير (جم) فبفد ظاهرياً العملية التقليدية لتوريث العرش فأرسل لبازيد ثم حاول أن يبلغ نفس الخبر لجم أملاً بحضوره السريع الى استانبول فعلم الانكشارية بتصرف الصدر الاعظم فثاروا عليه وقتلوه وعينوا مكانه اسحق باشا⁽⁸⁾ . وتمردوا في استانبول وعاثوا في البلاد سلباً ونهباً وجاءوا بالامير قرقد (قورقود) بن بايزيد لتولي مهام الدولة لحين وصول ابيه من اماسيا⁽⁹⁾ .

وصل بايزيد الثاني استانبول في الثاني والعشرين من شهر ايار عام 1481 عن طريق البسفور حيث استقبله كبار رجال الدولة ورأى ان سفن الانكشارية قد احاطت الطريق للترحيب به . والحقيقة ان الانكشارية قاموا بهذا العمل لكي يبينوا للامير بايزيد الثاني انه جاء الى كرسي السلطنة بمساعدتهم⁽¹⁰⁾ وعندما دخل السلطان بايزيد الثاني القصر السلطاني رأى ان قوات الانكشارية قد انتشروا حول القصر ومدخله ينتظرون السلطان الجديد ومعهم مطالب يريدون ان ينفذها لهم وعلى الفور اولها عزل مصطفى باشا من منصبه كوزير لأنه أحد مقربي السلطان بايزيد (شيخزاده بايزيد) لأنه من المحتمل أن يصبح الصدر الأعظم ولن يرفع أجور الانكشارية وتعيين اسحق باشا بدلا عنه لانه متعاطف مع الانكشارية وسيرفع أجورهم . وثانيا ان يقدم السلطان عطايا لهم بمناسبة توليه السلطنة⁽¹¹⁾ . واخيرا ان يصدر امرا بالعفو عن الانكشارية نتيجة لما ارتكبوه من فظائع في المدينة . وقد استجاب السلطان لجميع مطالب الانكشارية⁽¹²⁾ .

تمادى الانكشارية على السلطان بعد ثلاثة اشهر من توليه منصبه إذ طلبوا منه ان يسمح لهم بنهب مدينة بورصة عقابا لسكانها بحجة انهم تعاونوا مع الامير جم وابوائه عندهم ، فما كان من السلطان الا ان رفض طلبهم . لمنع حدوث شغب بالمدينة اجزل السلطان العطايا للانكشارية للمرة الثانية وهو في بداية حكمه . كما أجبروه على فتح محلات بيع الخمر لكي يتناولوا فيه المسكرات⁽¹³⁾ . ومن هنا نرى ان التمرد الاول للانكشارية قد سبب ضررا اقتصاديا للدولة وذلك لصرف الكثير من الاموال لهم واجتماعياً لأنهم أحدثوا خرابا كبيرا بالمدينة كما أسهموا في فتح محلات الخمر في المدينة علناً وهذا ما يخالف الشريعة الإسلامية .

اما التمرد الثاني للانكشارية فقد حدث ايضا في عهد السلطان بايزيد الثاني ، والمفارقة ان التمرد الاول كان لتعيين السلطان بايزيد الثاني اما التمرد (الثاني) فكان لعزله وسبب هذا التمرد ان السلطان كان له من الاولاد ثمانية توفى منهم خمسة في حياته وبقي ثلاثة وهم الامير احمد والامير (قورقود) والامير سليم . وكان احمد اكبرهم واحبهم واقربهم لأبيه ومحبا لدى الاعيان والامراء لذلك عينه والده وليا للعهد وحاكما على منطقة اماسيا . وكان قورقود حاكما على صاروخان (مانيسة) وكان محبا للعلوم ومجالسة العلماء . وسليم حاكما على طرابزون . وكان سليم مشهورا بالقوة وحبه للقتال وله منزلة كبيرة لدى قوات الانكشارية في الوقت نفسه كان والده

بايزيد الثاني يحب السلم اكثر مما يحب الحرب لذلك كان الانكشارية يبتعدون عن بايزيد الثاني لسياسته السلمية⁽¹⁴⁾ .

وحدث خلاف بين بايزيد الثاني وابنه سليم نتيجة طلب الاخير نقله من طرابزون الى منطقة اخرى بحجة أنها منطقة نائية وبعيدة عن المركز وعندما رفض والده طلبه جهز بعض رجاله وتوجه الى ادرنة ليتباحث مع والده الذي كان يقيم هناك لفترة من الزمن إلا انه عندما وصل الى ادرنة كان والده قد غادر الى استانبول بعد سماع خبر وفاة ابنه شاهنشاه . فاشتد عليه المرض عند ذلك ارسل الى ابنه احمد للقنوم الى استانبول ليكون بالقرب منه لانه ولي العهد الا ان الانكشارية سيطروا على مداخل استانبول ومنعوا دخول الامير احمد الى استانبول واجبروه على العودة الى اماسيا⁽¹⁵⁾ وفي هذا الوقت تدخل الانكشارية بالامر واجبروا السلطان بايزيد الثاني على إصدار مرسوم أوهمايون بالعفو عن الامير سليم واعاته الى ولاية سمندرية ، العاصمة القديمة لبلاد الصرب⁽¹⁶⁾ ، واثاء سفر سليم اليها قابله الانكشارية وعادوا به الى استانبول فدخلها سليم وسط حشود من الانكشارية عند ذلك عرض السلطان بايزيد على ابنه سليم أموالاً كأجراء له بالعودة الى سمندرية إلا ان سليم رفض خاصة وان الانكشارية بجانبه حتى اضطر السلطان بايزيد الثاني ان يعرض على ابنه سليماً ان يكون ولياً للعهد مع بقاء والده حاكماً للدولة حتى وفاته⁽¹⁷⁾ لكن الانكشارية وسليم رفضوا الامر واصروا على اخذ السلطنة من بايزيد الثاني فتوجهت في الخامس والعشرين من شهر نيسان عام 1512 قوات عسكرية ضمت الانكشارية والسباهية -الفرسان الاقطاعيين- حتى بلغ عددهم اثني عشر الف جندي نحو قصر السلطان بايزيد الثاني وطلب كبار الضباط مقابلة السلطان فأذن لهم السلطان فقالوا له انك طاعن في السن ومريض وعليك ان تتنازل عن العرش لولدك سليم⁽¹⁸⁾ ، وبعد ان وجد السلطان بايزيد الثاني جدية طلب الانكشارية تنازل عن العرش لولده سليم وبعد عشرين يوماً ارسل الى ابنه سليم يطلب منه ان يأذن له في مغادرة استانبول ويذهب الى ديموتيقا⁽¹⁹⁾ ليقضي بقية حياته هناك فخرج معه ابنه سليم حتى أسوار استانبول⁽²⁰⁾ وكان السلطان بايزيد مريضاً لذا تأخر في الطريق بسبب الصعوبة التي يعانيتها في ركوب الخيل وحيث كان ينقل على المحفة وبعد مضي شهر في الطريق توفي السلطان بايزيد الثاني في السادس والعشرين من شهر ايار عام 1512م ، فنقل جثمانه الى استانبول ودفن في الجامع الذي شيده والذي يحمل اسمه⁽²¹⁾ . ومن هنا نرى ان الانكشارية كانوا وراء عزل السلطان بايزيد الثاني ووفاته بسبب كرههم لسياسته السلمية ، وفي الوقت نفسه كانوا وراء تنصيب الأمير سليم بن بايزيد الذي كان معروفاً بشدته وحبته للحروب سلطاناً للدولة العثمانية .

التمردات في عهد السلطان سليم الاول (1512-1520م) :

كان من المشاكل التي واجهها السلطان سليم الأول في مستهل حكمه تمرد الانكشارية ضده وهم الذين جاءوا به إلى الحكم وقد جعلهم السلطان سليم الأول ركيزة لحكمه فزاد أعدادهم إلى 35000 وزاد رواتبهم⁽²²⁾ وسبب التمرد ان السلطان سليم عندما خرج مودعا والده بايزيد الثاني الذي اراد الذهاب الى ديموتيقا وعند عودته جاءتة الأنباء التي تعيد بأن الانكشارية قد تجمعوا في طريقه المؤدي للقصر يطالبونه ببعض الاموال⁽²³⁾ . إلا أن السلطان سليم الأول غير طريقه ومع ذلك بعد عودته ودخوله القصر جاء كبار قادة الانكشارية وطالبوه ببعض الأموال للانكشارية فوافق على ذلك تحاشيا لمشاكلهم⁽²⁴⁾ فدفع لكل انكشاري كان قد شارك في التجمع خمسين دوكا (دوكة)⁽²⁵⁾ كما وتمادى احد الانكشارية وطالب السلطان بزيادة رواتبهم عند ذلك استاء السلطان ورفع سيفه وقطع رأس ذلك الانكشاري لتماديه في الطلبات⁽²⁶⁾ .

اما التمرد الثاني للانكشارية في عهد السلطان سليم فقد حدث اثناء الحرب العثمانية الصفوية عام 1514 في معركة جالديران والتي انتصرت فيها القوات العثمانية على القوات الصفوية التي كانت بقيادة الشاه اسماعيل الصفوي (1501-1524م) وأراد السلطان سليم الاول بعد هذا الانتصار عدم التوقف وللحاق بالشاه اسماعيل الصفوي الا انه تراجع لقلّة المؤونة التي لا تكفي أفراد الجيش⁽²⁷⁾ . والسبب الاخر في عودة السلطان سليم الاول ان الانكشارية امتنعوا عن التقدم نتيجة اشتداد البرد وعدم وجود الملابس الشتوية لذلك طلبوا من السلطان سليم الاول العودة الى مدينة اماسيا ثم الرجوع صيفا الى مقاتلة الصفويين⁽²⁸⁾ . وقد اضطر السلطان سليم لتلبية طلبهم ظنا منه ان لم يوافق فإنه ربما سيقومون بتمرد داخل العاصمة او في طريق العودة مما يؤثر على سلطنته خاصة وهو بعيد عن المركز وربما يستغل الشاه اسماعيل الصفوي الموقف ويعود مع جيشه للانقضاض على الجيش العثماني⁽²⁹⁾ .

تمردات الانكشارية في عهد السلطان سليمان القانوني(1520-1566م)

بعد وفاة السلطان سليم تولى السلطنة السلطان سليمان المعروف بالقانوني وبعد خمس سنوات من توليه قام الانكشاريون بتمردهم الوحيد في عهد السلطان سليمان القانوني وتحديدًا في الخامس والعشرين من آذار عام 1525 عندما عاد السلطان سليمان القانوني من منطقة ادرنة الى استانبول بعد قضائه فصل الشتاء هناك اذ قام الانكشاريون بنهب سراي (قصر) الصدر الاعظم ابراهيم باشا حين كان الاخير في مصر⁽³⁰⁾ ، كما هاجم الانكشارية ديوان الجمارك وبعض الاسواق والمحلات ومنها محلة اليهود . وكان مهم جمع الاموال سواء من مصادر حكومية او اهلية واسلامية (حلال) او غير اسلامية (حرام)⁽³¹⁾ . ولتدارك الوضع ارسل السلطان سليمان القانوني الف دوكا للانكشارية لانتهاء التمرد مع اعطاء دفعات اخرى لهم في المستقبل وكان نتيجتها أن أخذوا للهدوء وانهاوا التمرد⁽³²⁾ ، وقد استجاب الانكشارية للأمر واخذوا الدفعة

الاولى (الف دوكا) وتقاسموه طمعا بأموال اخرى ، الا ان السلطان سليمان القانوني كان ذكيا اذ استطاع ان يبعد بعض رؤساء الانكشارية الى بعض المناطق البعيدة ليخدموا هناك ويدافعوا عن الدولة ضد العدو الخارجي كما قتل وسجن بعض زعماء التمرد وبذلك استطاع تشتيت شملهم وانهاء الفتنة⁽³³⁾ .

تمردات الانكشارية في عهد السلطان سليم الثاني (1566-1574م)

واجه السلطان سليم الثاني في بداية حياته السياسية كسلطان للدولة العثمانية بعد وفاة والده سليمان القانوني قضية تمرد الانكشارية الذين لم يكتفوا بما اعطاهم من عطايا وانما اعلنوا العصيان والتمرد واعترضوا طريق السلطان وهو في طريقه الى القصر حيث اوقفوا عربة محملة بالتبن امام عربة السلطان لايقافه ومطالبته بأموال اضافية بمناسبة اعتلائه السلطنة ، وتمركزوا قرب القصر السلطاني (توب قابي) واغلقوا الابواب ووقفوا بقربها الصدر الاعظم محمد باشا صوقلي وارغموه على الذهاب الى السلطان وابلاغه ان المتمردين لن يهدأوا الا اذا وعدهم بدفع المال لهم ، ادرك السلطان سليم الثاني خطورة الموقف الذي تشكل مما اضطر الى ان يجزل لهم العطايا وذلك حفاظا على المدينة من الفوضى والمشاكل⁽³⁴⁾.

تمردات الانكشارية في عهد مراد الثالث (1574-1595م)

حدث في عهد السلطان مراد الثالث تمردان من قبل الانكشارية إذ كان الأول في مستهل حكم السلطان حين أمر السلطان بمنع شرب الخمر فثار الانكشارية عليه وأجبروه على اباحته بمقدار لا يؤدي الى ذهول العقل وتكدير الراحة⁽³⁵⁾ .

ونرى ان السلطان مراد الثالث ربما قد وافق على طلب الانكشارية خوفا من ان يقوموا بعزله وهو حديث العهد في تولي السلطنة ولكيلا تحدث مشاكل تؤثر على سياسة الدولة، اما التمرد الثاني فكان بسبب امور اقتصادية ومفاد التمرد ان الانكشارية ارادوا أن يتخلصوا من الباشا دفتردار وهو المسؤول عن اموال الدولة . ومن رئيس بكوات الصناجق محمد باشا بكربك الروملي والذي كان يشمل نفوذه الولايات العثمانية الاوربية⁽³⁶⁾ .

والسبب الذي تذرعه به الانكشارية للتخلص من هذين الشخصين وطلبوا من السلطان مراد الثالث ان يسلمهما لهم . أن هذين الشخصين هما المسؤولان عن انقاص وزن النقود الفضية التي كانت للانكشارية⁽³⁷⁾ . وقد استطاع قوات الانكشارية بتمردهم ان يحاصروا منزلي الشخصين ودخلوا الى بيوتهم وقتلوهما دون الاستماع الى اوامر السلطان وفي الوقت نفسه لم يستطع السلطان مراد الثالث ان يحرك ساكنا او يتخذ اجراءً بشأن ذلك التمرد⁽³⁸⁾ ، والجدير بالذكر ان سبب انقاص وزن العملة الفضية كانت تنفيذا لسياسة الدولة آنذاك إذ لجأت السلطة المركزية في

استانبول الى هذا الاجراء وذلك لمواجهة الزيادة الحاصلة في الانفاق العسكري نتيجة لزيادة اعداد الجيش الانكشاري حيث في ذلك الوقت سمح السلطان مراد الثالث للمسلمين بالالتحاق بالجيش الانكشاري فازداد عددهم⁽³⁹⁾ .

تمردات الانكشارية في عهد السلطان عثمان الثاني (1618-1622م)

حدث تمرد الانكشارية في عهد السلطان عثمان الثاني خلال الفترة 1619-1620 وكانت الدولة خلال هذه الفترة في حرب ضد بولندا فتمرد الانكشارية وطلبوا من السلطان ان يوقف الحرب⁽⁴⁰⁾ ، وكان هذا العمل يتعارض مع تقاليد الانكشارية التي كان شغلها الشاغل هو الحرب ، والحقيقة ان الانكشارية طلبوا هذا الطلب لكي يشعروا السلطان بأنهم اقوياء ويتحكمون بأمر الدولة خاصة وان السلطان كان صغير السن إذ كان في الرابعة عشر من العمر حتى انه كان يسمى بعثمان كنج (عثمان الشاب)⁽⁴¹⁾ ، وقد وافق السلطان على وقف الحرب تنفيذاً لرغبة الانكشارية وهو غير راض في قرارة نفسه على هذا العمل خاصة وانه لم يحقق هدفه في الانتصار على البولنديين⁽⁴²⁾ ، لذلك عمل عن تصفية الانكشارية وذلك بالعمل على تجهيز وتنظيم جيش جديد في ولايات آسيا⁽⁴³⁾ وعندما علم الانكشارية بمشروع السلطان عثمان الثاني عملوا على عزله⁽⁴⁴⁾ .

والجدير بالذكر ان الانكشارية تشجعوا على عزل وقتل (خنق) السلطان بعدما تعاونوا مع شيخ الاسلام محمد اسعد افندي الذي تولى المشيخة من عام 1615 الى 1622 ثم عزل وعاد عام 1623 وحتى 1625م إذ تمثل دور شيخ الاسلام بأن اصدر فتوى قال فيها ((لا لزوم لحج البادشاهات - السلاطين - البقاء في مكانهم والعدل اولى لهم ، حتى لا تكون هناك فتنة)) وقد أصدر شيخ الاسلام هذه الفتوى بعدما سمع باستعداد السلطان للذهاب الى الحج الا ان السلطان لم يلتفت لكلام شيخ الاسلام مما جعل الاخير يثير الانكشارية عليه ، فأخذت الانكشارية من فتوى شيخ الاسلام ذريعة للتخلص من السلطان⁽⁴⁵⁾ فهاجموا على قصر السلطان وأخذوه الى ثكناتهم ثم ذهبوا به الى قلعة الابراج السبعة ، حيث ازهقت روحه هناك على يد الانكشارية⁽⁴⁶⁾ وقد سميت هذه الحادثة في التاريخ العثماني بالهائلة العثمانية الكبرى⁽⁴⁷⁾ .

تمردات الانكشارية في عهد السلطان مراد الرابع (1623-1640م)

بعد مقتل السلطان عثمان الثاني على يد الانكشارية انتشرت الرهبة في مؤسسات الدولة وعلت سطوة الانكشارية واخذوا يولون الوزراء ويعزلونهم ، حتى انهم بعدما اجلسوا السلطان مصطفى الاول على عرش الدولة العثمانية بعد السلطان عثمان الثاني للمرة الثانية عادوا بعد فترة وجيزة وعزلوه وولوا مكانه السلطان مراد الرابع⁽⁴⁸⁾ . كانت الدولة العثمانية تعاني من الفوضى السياسية والمالية حيث ان معظم الأناضول والروميلى قد وقع في أيدي المتمردين الذين عرفوا باسم الجاليلين أو الأشكية . وبعد فترة انضم الانكشارية الى هذه الحركة في وقت كان فيه الانكشاريون المستقرون في بعض المدن قد سيطروا عليها يرهبون الناس ويستغلونهم . وقد أدت هذه الفوضى الى انتهاز بعض القوى المجاورة الوضع ومنهم الصفويين حيث استغل الشاه عباس الأول (1587-1628م) أعمال التمرد في الأناضول وتمرد انكشارية بغداد فتقدم بجيشه وسيطر على بغداد .

ارتبط تمرد الانكشارية في عهد السلطان مراد الرابع بالصراعات ما بين الصدور العظام . عندما قتل الصدر الاعظم حسن باشا على يد الانكشارية عمل السلطان على عزل الصدر الأعظم خسرو باشا الذي كان متعاوناً مع الانكشارية وتنصيب حافظ باشا للصدارة العظمى وبعدهما نجح السلطان في مساعاه⁽⁴⁹⁾ اخذ خسرو باشا يدبر المكائد ضد السلطان واتصل برؤساء الانكشارية حيث اخبرهم ان السلطان عزله لانه متعاطف ومتعاون مع الانكشارية ، فهاج الانكشارية ودخلوا سراي السلطان وقتلوا حافظ باشا في التاسع من شباط عام 1632م ولم يرتدعوا لتدخل السلطان⁽⁵⁰⁾ ولان السلطان لم ينجح في حماية حافظ باشا وكرد فعل ضد الانكشارية امر بقتل خسرو باشا على اساس انه محرك الفتنة ، عند ذلك طلب الانكشارية من السلطان ان يعين رجب باشا صدراً أعظم ، وقد كان السلطان مراد الرابع يسمي رجب باشا برئيس الاشقياء لذلك رفض طلبهم ، واصدر فرماناً بتعيين بيرام محمد باشا صدراً اعظم⁽⁵¹⁾ ، كما واصر السلطان على تصفية وابادة الانكشارية وامر بقتل رؤساء الانكشارية الذين شاركوا في الفتنة . ثم امر بقتل كل من له علاقة بالفتنة حتى وإن كانت علاقة جانبية لذلك استكان الانكشارية ولجأوا الى الحيلة وتظاهروا للسلطان بأنهم ملتزمون بقوانين الانضباط العسكري وانهم يطيعون السلطان وارادوا من هذا التظاهر التمويه لانهم كانوا يبيتون امرا ضد السلطان، فبعد شهرين قام الانكشارية بتمرد جديد بقيادة رجب باشا حيث اراد اخذ الصدارة العظمى بالقوة فقام بفتنة كبيرة وتوجه نحو السراي ودخل الى السراي وأتباعه ينتظرونه في الخارج فأمر السلطان بأن يلقوا رجب باشا من شباك السراي ، فتفرق أتباعه وكسرت بذلك شوكة الانكشارية ، وبعد هذا الانكسار الذي شهدته قوات الانكشارية لم يتمردوا طيلة السنوات الاخيرة من حكم السلطان مراد الرابع حتى عام 1640م⁽⁵²⁾ .

تمردات الانكشارية في عهد السلطان ابراهيم الاول (1640-1648م) بعد وفاة السلطان مراد الرابع تولى أخوه ابراهيم سلطنة الدولة وعاد الانكشارية الى التمرد وإثارة المشكلات ، وجاءت الفرصة عندما حدثت مشاكل واضطرابات في العاصمة العثمانية ضد السلطان ابراهيم الاول والتي عرفت (بثورة الاغوات) وقد حدثت هذه الثورة عام 1648 ومفاد هذا التمرد ان الكثير من اغوات العسكر قاموا بأعمال نهب وسرقة أموال الدولة وعندما اراد السلطان ابراهيم ايقافهم ومعاقتهم تجمعوا على شكل عصابة وعملوا على خلعه وقد وقف شيخ الاسلام عبد الرحيم افندي الى جانب الاغوات وتمكنوا في الثامن من آب عام 1648 من خلع السلطان وزجه في السجن⁽⁵³⁾ .

وبعد زج السلطان في السجن تخوف الصدر الاعظم صوفي محمد باشا وشيخ الاسلام وقادة الانكشارية من عودة السلطان ابراهيم الى العرش خاصة وان السباهية لم يرضوا بالسلطان الجديد (محمد الرابع) لصغر سنه⁽⁵⁴⁾ ، لذلك قرر شيخ الاسلام والصدر الاعظم والانكشارية اعدام السلطان المخلوع ابراهيم الاول وكان هذا الامر يحتاج الى سبب وفتوى لذلك افتى شيخ الاسلام بإعدامه بعد ان سأله ((الا يحق شرعا عزل وقتل السلطان الذي اعطى مراكز العلماء للذين لا يستحقونها واخذوها بالرشوة من الذين يستحقونها وكان الجواب نعم)) ، وبذلك استطاع شيخ الاسلام ان يصدر فتوى بإعدامه وذلك عام 1648م⁽⁵⁵⁾ . ولم تتوقف تمردات الانكشارية بعد مقتل السلطان ابراهيم الأول وهو ما يتطلب معالجته في بحث آخر إن شاء الله .

الخاتمة

يتضح من خلال استقراء ادوار الانكشارية في الدولة العثمانية ما يأتي :

1. شكل الانكشارية في بداية تكوينهم قوة عسكرية ادت ادوارا ايجابية في الحروب التي خاضتها الدولة العثمانية ، وعلى وجه الخصوص في الجبهة الاوربية
2. بدأ الانكشارية منذ القرن السادس عشر بالتدخل في الشؤون السياسية للدولة العثمانية ، ونجم عن ذلك ، اضطراب في سياسة الدولة في المستويين الداخلي والخارجي ، فعلى المستوى الداخلي ، استهدفت تمرداتهم السلطنة العثمانية ، وذلك من خلال اكرام السلاطين على اغداق الاموال عليهم ، وفي حالات رفض السلطان ، فإنهم لم يترددوا في قتله .
3. سعى الانكشارية الى التدخل في تنصيب الشخصيات التي تؤدي لهم الخدمات وتنفيذ مطالبهم، ولعل من ابرزها منصب (الصدارة العظمى) والتي استنفذوها لتحقيق مقاصدهم .
4. بقدر ما كانت الانكشارية قوة ايجابية في الفتوحات العثمانية في الجبهة الاوربية ، فانهم أصبحوا سببا في إضعاف الدولة العثمانية من خلال قراراتهم القاطعة في ايقاف الحروب، واجبار السلطان العثماني على عقد معاهدات مع الدول الاخرى ، والتهديد بالتمرد ان لم تنفذ رغباتهم .
5. ادرك بعض السلاطين مديات تأثير الانكشارية ، فأثروا في بعض الاحيان الاستجابة لمطالبهم ، ويبدو ان ذلك لا يعد ضعفا في شخص السلطان ، بقدر حرص السلطنة العثمانية على اشاعة الامن والاستقرار وخصوصا في العاصمة العثمانية استانبول .

هوامش البحث :

- (1) عبد العزيز محمد الشناوي ، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ، ج1 ، (القاهرة : 1978) ، ص474.
- (2) زياد أبو غنيمه ، جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك ، (عمان : 1983) ، ص ص122-126 .
- (3) ايرينا بتروسيان ، الانكشاريون في الامبراطورية العثمانية ، تقديم ومراجعة قسم الدراسات والنشر - مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث ، (دبي : 2006) ، ص ص16-17 .
- (4) الشناوي ، المصدر السابق ، ص474 .
- (5) المصدر نفسه ، ص473 .
- (6) ذكرنا تاريخين لفترة سلطنة السلطان محمد الفاتح ذلك لأنه في سنة 1444م استلم الحكم عندما اعتزل والده السلطنة والناس نتيجة هزيمته أمام المجر ووفاة ولده علاء الدين . فتولى محمد الفاتح الحكم حتى عام 1446م حيث عاد والده مراد الثاني الى السلطنة ، وبعد وفاة مراد الثاني عام 1451 تولى محمد الفاتح للمرة الثانية سلطنة الدولة العثمانية . ينظر شكيب ارسلان ، تاريخ الدولة العثمانية ، تحقيق : حسن السماحي سويدان ، (دمشق - بيروت ، 2001) ، ص78 .
- (7) محمد سهيل طقوش ، العثمانيون من قيام الدولة الى الانقلاب على الخلافة ، (بيروت : 1995) ، ص120 ؛ سيار كوكب علي الجميل ، تكوين العرب الحديث 1516-1916 ، (جامعة الموصل : 1991) ، ص42 ؛ هيثم جمعة هلال ، السلطان محمد الفاتح ، (حلب : 2007) ، ص76 .
- (8) طقوش ، المصدر السابق ، ص121 ؛ هلال ، المصدر السابق ، ص76 ؛ بتروسيان ، المصدر السابق ، ص119 .
- (9) كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، نقله الى العربية نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي ، (بيروت : 2005) ، ص443 ؛ طقوش ، المصدر السابق ، ص121 .
- (10) محمد فريدك المحامي ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، تحقيق : إحسان حقي ، ط9 (بيروت : 2003) ، ص179 .
- (11) والجدير بالذكر ان اعطاء الاموال للانكشارية اصبح تقليدا يلتزم به كل سلطان يتولى سلطنة الدولة ويعطي مبلغا من المال للانكشارية حيث منذ عهد السلطان محمد الفاتح أصبح من العتاد أن يقوم كل سلطان جديد بتوزيع (نقود للانكشارية) لضمان ولائهم وبقيت هذه الحالة لمدة (294) عاما عندما نجح السلطان عبد الحميد الاول (1774-1789م) من الغاء هذا التقليد . ينظر : احمد عبد الرحيم مصطفى ، في أصول التاريخ العثماني ، ط3 ، (القاهرة : 2003) ، ص125 ؛ بروكلمان ، المصدر السابق ، ص443 ؛ عدنان العطار ، الدولة العثمانية من الميلاد الى السقوط ، (بيروت : 2006) ، ص53 .
- (12) بيتروسيان ، المصدر السابق ، ص121 ؛ طقوش ، المصدر السابق ، ص249 ؛ المحامي ، المصدر السابق ، ص179 .
- (13) الشناوي ، المصدر السابق ، ص504 .
- (14) راغب السرجاني ، الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي ، ج2 ، ط7 ، (القاهرة : 2007) ، ص156 ؛ طقوش ، المصدر السابق ، ص127 ؛

Stamford shaw, History of the ottoman Empiread modern Turkey, Vol. 1, (Newyork: 1976) p. 78.

- (15) بيتروسيان ، المصدر السابق ، ص ص124-125 .
- (16) المحامي ، المصدر السابق ، ص187 .
- (17) المصدر نفسه والصفحة .
- (18) الشناوي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص508 .
- (19) وهي تقع الى الجنوب من ادرنة في اليونان على الحدود التركية ، ينظر : المحامي ، المصدر السابق ، ص187 .
- (20) بيتروسيان ، المصدر السابق ، ص ص126-127 .
- (21) يوسف بك آصاف ، تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن ، تقديم محمد زينهم محمد عزب ، (القاهرة : 1995) ، ص55 .
- (22) مصطفى ، المصدر السابق ، ص79 ؛
- Shaw, op. cit, Vol, 1, pp. 79-80.
- (23) الشناوي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص509 .
- (24) ارسلان ، المصدر السابق ، ص134 .
- (25) وهي إحدى العملات التي كانت تستخدم في الدولة العثمانية وقد أقبل التجار وأغلبية الشعب على تداولها وذلك لأنها كانت ممتاز بوزنها الثابت والتي تعادل 24 قيراطاً وقد كانت تسمى بالدوكا البندقي نسبة الى مدينة البندقية التي تضرب فيها هذه النقود . ينظر : الشناوي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص509 ؛ شوكت باموك ، التاريخ المالي للدولة العثمانية ، تعريب عبد اللطيف الحارس ، (بيروت : 2005) ، ص34 .
- (26) الشناوي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص509 .
- (27) الجميل ، المصدر السابق ، ص64 ؛ طقوش ، المصدر السابق ، ص249 .
- (28) فاضل بيات ، الدولة العثمانية في المجال العربي ، (بيروت : 2007) ، ص246 ؛ اكمل الدين إحسان اوغلي ، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ، ترجمة صالح سعادوي ، ج1 ، (استانبول : 1999) ، ص31 ؛ الجميل ، المصدر السابق ، ص ص64-65 .
- (29) بيتروسيان ، المصدر السابق ، ص129 .
- (30) هارولد لامب ، سليمان القانوني ، ترجمة شكري محمود نديم ، (بغداد : 1961) ، ص101 .
- (31) طقوش ، المصدر السابق ، ص250 .
- (32) المحامي ، المصدر السابق ، ص208 .
- (33) طقوش ، المصدر السابق ، ص250 .
- (34) آرسلان ، المصدر السابق ، ص189 ؛ بيتروسيان ، المصدر السابق ، ص ص165-166 .
- (35) علي محمد محمد الصلابي ، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط ، (القاهرة : 2004) ، ص348 ؛ فاطمة محمود الجوابرة ، موسوعة الخلفاء -الفاطميون- العثمانيون ، ج2 ، (عمان : 2004) ، ص239 ؛ السرجاني ، المصدر السابق ، ص171 ؛ العطار ، المصدر السابق ، ص73 .

- (36) باموك ، المصدر السابق ، ص263 ؛ بلقاسم القروي الشابي ، الفتوحات الإسلامية بأوروبا والردود المسيحية ، (تونس : 1997) ، ص137 .
- (37) المصدر نفسه والصفحة .
- (38) نسبية عبد العزيز عبد الله الحاج علاوي ، الاتجاهات الإصلاحية في الدولة العثمانية 1623-1789 ، أطروحة دكتوراه (غير منشورة) ، كلية الآداب ، جامعة الموصل ، 2006 ، ص86 .
- (39) باموك ، المصدر السابق ، ص263 .
- (40) محمود علي عامر، الدولة العثمانية تاريخ ووثائق ، (دمشق : 2001) ، ص ص160-161 ؛ علاوي ، المصدر السابق ، ص86 .
- (41) طقوش ، المصدر السابق ، ص251 .
- (42) علاوي ، المصدر السابق ، ص86 ؛ العطار ، المصدر السابق ، ص85 ؛
- Mustafa Ozden "yenicerilik isyanlari ve Vaka-I Hayriye", Turk Dunyasi Tarih Dergisi, Sayi, 109, Ocak, 1996. ss 36-37.
- (43) سيد مصطفى ، نقد حالة الفن العسكري والهندسة والعلوم في القسطنطينية 1803م ، تحقيق : خالد زيادة ، (بيروت : 1979) ، ص12 ؛ الجوابرة ، المصدر السابق ، ص253 .
- (44) أرسلان ، المصدر السابق ، ص216 .
- (45) عامر ، المصدر السابق ، ص161 ؛ عماد عبد العزيز يوسف وماهر حامد جاسم ، "دور شيوخ الإسلام في اتخاذ القرار في الدولة العثمانية" ، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية ، ع2 ، مج6 ، (الموصل) ، 2007 ، ص330 ؛ دونالدكواترت ، الدولة العثمانية 1700-1922 ، تعريب : أيمن الارمنازي ، (الرياض : 2004) ، ص186 .
- (46) أرسلان ، المصدر السابق ، ص216 .
- (47) وهو المصطلح الذي أطلقه المؤرخون على الأحداث التي قامت ضد السلطان عثمان الثاني (1618-1622م) والتي أدت الى قتله مع الصدر الأعظم ولأور باشا الذي كان مواليا له . ينظر : إبراهيم بك حليم، تاريخ الدولة العثمانية العلية المعرف بكتاب التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية ، (القاهرة: 2004) ، ص ص179-180 ؛ يوسف وجاسم ، المصدر السابق ، ص340 .
- (48) مصطفى ، المصدر السابق ، ص151 ، يلمازأوزتونا ، تاريخ الدولة العثمانية ، ترجمة عدنان محمود سلمان ، مج1 ، (استانبول: 1988) ، ص470 ؛ أرسلان ، المصدر السابق ، ص217 ؛ علاوي ، المصدر السابق ، ص88 .
- (49) علي حسون ، تاريخ الدولة العثمانية ، ط4 (بيروت : 2002) ، ص135 .
- (50) شاكر أفندي الحنبلي ، تلخيص التاريخ العثماني المصور ، (دم : د.ت) ، ص75 ؛ علي سلطان ، تاريخ الدولة العثمانية ، (دمشق : 1991) ، ص213 .
- (51) أرسلان ، المصدر السابق ، ص ص219-220 ؛
- Edward s, Creasy, History of the Ottoman Turks from the Beginning of their Empire to the present time, (London: 1878), pp. 248-249.

- (52) ثريافاروقي ، الدولة العثمانية والعالم المحيط بها ، ترجمة حاتم الطحاوي ، (بيروت : 2008) ، ص 111 ؛ أرسلان ، المصدر السابق ، ص 220 .
- (53) سلطان ، المصدر السابق ، ص 218 ؛ يوسف وجاسم ، المصدر السابق ، ص 331 .
- (54) محمود شاكر ، الخلفاء العثمانيون (923-1342هـ) ، (بيروت : 2003) ، ص 192 ؛ حلیم ، المصدر السابق ، ص 201 ؛ المحامي ، المصدر السابق ، ص 88 ؛ اصاف ، المصدر السابق ، ص 87-88 .
- (55) يوسف وجاسم ، المصدر السابق ، ص 331 ؛ حلیم ، المصدر السابق ، ص 201 .